الحاسوب وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل

أ.د. أحمد زياد محبك ابن مصطفى

أستاذ الأدب العربي الحديث في جامعة حلب

مقدمة :

أول ما قد يفهمه المرء من المقدرة اللغوية امتلاك عدد أكبر من الألفاظ، أو القدرة على الكلام، أو التواصل مع الآخرين، وهذه هي بعض أشكال المقدرة اللغوية، وليست كلها. إن المقدرة اللغوية تتضمن عدة مهارات هي: التواصل، القراءة، الكتابة، الفهم، التفكير، تحصيل المعرفة، امتلاك الثقافة، تحقيق الهوية القومية، وهذا العرض لهذه المهارات لا يعني الترتيب، فهي مهارات متكاملة، ولا يعني أنها بمثل هذا التبسيط، إذ تتضمن كل مهارة عدة مهارات أخرى فرعية، والمطلوب فيها جميعا، هو التحسين والارتقاء نحو الأفضل، وليس مجرد الأداء.

والمرجو أيضا ألا يتوقع من الحاسوب أن يكون العصا السحرية التي بإشارة منها وفق الخيال يتحقق كل شيء، فما الحاسوب إلا أداة معينة،

ويبقى الدور الأول هو للإنسان الذي يتعامل مع الحاسوب، ولكن هذا لا يلغي الدور الكبير للحاسوب.

أولاً ـ اللغة والحاسوب :

إن الحاسوب مثله مثل المعجم، أو الآلة الحاسبة، والمعجم وحده لا يصنع من قارئه متمكناً من اللغة، وإن كان يساعده على ذلك، كما أن الآلة الحاسبة وحدها لا تصنع من المتعامل معها متمكناً من الرياضيات، وإن كانت تساعده على ذلك.

إن اللغة وسيلة، والحاسوب أداة، والفرق بين الأداة والوسيلة واضح، فالوسيلة عنصر مكون يدخل في العمل ويبقى داخله، ولا يزول إلا بزواله، والأداة شيء خارجي معين، يساعد على إنتاج العمل، ولكنه يبقى خارجه، ويزول والعمل لا يزول، فالألوان في اللوحة والكلمات في القصيدة والحجر في التمثال والنغم في اللحن وسائل، والريشة للوحة والقلم للقصيدة والإزميل للحجر والقيثار للّحن أدوات، ولذلك لا يغير في العمل إن كانت الريشة من شعر حصان أو من ألياف صناعية، أو كان الإزميل يدوياً أو كهربائياً، أو كان القلم من حبر أو رصاص، أو كانت الكتابة بخط اليد أو بالحاسوب، أو كان القيثار عادياً أو إلكترونياً، وفي الحالات كلها يظل الدور الأول للإنسان، ولكن لا يمكن إنكار دور الأدوات، لأن لها تأثيراً لا يمكن أن ينكر.

لقد اعتاد الإنسان على اختراع أدوات مساعدة، فقد اخترع العجلة ليتمكن من نقل الأشياء الثقيلة والانتقال، فوفر الوقت والجهد، وحقق

السرعة، واخترع المنظار فنمى قدرته على الرؤية، واخترع السماعة فعمق قدرته على السمع، وما زال يخترع، ولقد كان يسير آلاف الأميال على قدميه، وهو اليوم لا يقطع مئات الأمتار إلا بوسيلة من وسائل الانتقال، وقد اخترع أدوات كثيرة، وطور فيها، وطور بها حياته.

ومن الأدوات التي اخترعها الإنسان الكتابة ثم الأبجدية، وهي للكلام كالنظارة للعين، وكالمعول لليد، وكما ساعدت النظارة العين وكما ساعدت المعول اليد، كذلك ساعدت الأبجدية اللغة، ولولا الكتابة ولا سيما الأبجدية لما حفظ الإنسان خبراته ولما طورها، ولا يقل اختراع الأبجدية أهمية في عصرها عن اختراع الورق، ولا يقل أهمية عن اختراع الطباعة، ولا يقل أهمية أيضاً عن اختراع الحاسوب، بل ربما كان اختراع الأبجدية هو الأهم، إذ لولا اختراع الأبجدية لما كان اختراع الورق ولا المطبعة ولا الحاسوب.

ولا يمكن القول إن الإنسان اخترع اللغة، لأن اللغة هي نتاج تركيبه العضوي، ومركزها في الدماغ، وأدواتها الجهاز الصوتي، المؤلف من الفم والأسنان والشفتين واللسان والحلق، والحبال الصوتية والرئتين، إن ما اخترعه الإنسان هو الكتابة أولاً بأشكالها المختلفة، ثم الأبجدية.

ولكن مما لا شك فيه أن اللغة هي ما يميز الإنسان، **إذ كما يقول هيدجر: «فقط حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولما كان التاريخ لا يصير ممكناً إلا في عالم اقتضى ذلك أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ،**

فاللغة هي التي أوجدت الحضارات، إذ إن الذي يمنع الحيوانات من أن تكون لها حضارة هو في المحل الأول افتقارها إلى اللغة، وبالتالي عدم وجود قدرة كلامية وفكرية تساعدها على مواصلة تجاربها وخبراتها، وكما يقول هوجر: «فما يكتسبه القرد مثلاً من معرفة في حل مشكلة ما يظل خبرة استقرارية راكدة مقصورة عليه هو وحده، وقد يتذكرها حين يصادف نفسه إزاء مشكلة مشابهة أو موقف مماثل، ولكنه في الفترات التي تتخلل ذلك لا يعكف على التفكير في تلك الخبرة أو التجربة بقصد تحسينها أو استخلاص أي نتائج منها في حل المشكلات الأخرى، مثلما يفعل الإنسان الذي يناقش مشكلة عن طريق اللغة، ويفكر فيها بعد انتهائها ليرى ما إذا كانت هناك تطبيقات أخرى ممكنة لتلك المعرفة، فباللغة والتفكير تكون خبرات الإنسان وتجاربه مستمرة ومتصلة، وهذا يساعد على تطويرها وتنميتها، فوجود اللغة يساعد الإنسان على أن يشارك الآخرين خبراتهم وأفكارهم مثلما ينقل إليهم هو خبراته وأفكاره وذلك بعكس الحال عند القردة العليا التي تعجز عن نقل خبراتها على الأقل بالطريقة نفسها، وعلى المستوى نفسه من التفكير المجرد الذي نجده في الجماعات الإنسانية، ومن هنا كانت الميزة الكبرى التي يتميز بها الإنسان هي القدرة على نقل تلك الخبرات التي تؤلف في آخر الأمر التراث الحضاري أو الثقافي من جيل إلى آخر عبر الزمن» (السيد، ص 19).

«ولقد قام كيلوج وكيلوج بتجربة مثيرة على القرد جيوا وطفلهما دونالد، فقد ربيا الطفل والقرد معاً بالمنزل، لعدة أشهر، وبينما كان القرد

قادراً على إنجاز الكثير من الأنشطة الحركية الملحوظة، وأكثر قدرة على القيام بكثير من الاستجابات الحركية، إلا أنه لم يكتسب أبداً القدرة على الكلام الحقيقي، لقد كان قادراً على الاستجابة للأوامر البسيطة التي توجه إليه مثل قف واذهب، ولكن لم يكن هناك دليل على قدرته على ربط استجابة صوتية ما بشيء معين، أو مجموعة من الأشياء. (غنيم، ص 91).

واللغة ليست وسيلة تواصل فحسب، فهذا هو الحد الأدنى من وظيفة اللغة، وبهذا المعنى تمتلك بعض الكائنات لغاتها، كالنحل والنمل والطيور والقردة، ولكن اللغة التي يستخدمها الإنسان تختلف الاختلاف كله، فهي ليست من أجل التواصل أو التفاهم فحسب، ولو كانت كذلك لتم فيها الاكتفاء ببضعة أصوات، أو لما كان فيها النظام النحوي والصوتي، ولما كان فيها المجاز، ولو كانت لغة تواصل فحسب لتم الاكتفاء بالقول: موجة بحر، ولما قيل:موجة حر وموجة برد، وموجة غضب، وموجة فرح، وموجة تغيير، وموجة جنون، ولو كانت للتواصل لتم الاكتفاء بالقول: الشجرة ثمر، ولكن نحن نقول:تثمر الشجرة، والشجرة تثمر، وأثمرت الشجرة، وكانت الشجرة مثمرة، وسوف تثمر الشجرة، فاللغة تتجاوز التواصل، فهي تنقل الانفعال، بوضوح ودقة وتعبر عنه، وتسميه، وهي تحفظ الخبرات والتجارب وتحولها إلى معطيات وحقائق وعلوم، وهي وسيلة لإبداع الآداب والفنون، وهي وسيلة لتطوير العلوم، وهي الحافظة لثقافات الشعوب، والحاملة لهويتها، وربما لولاها لما تطورت حياة الإنسان.

وكما يقول بيكرتون: **«إن اللغة الإنسانية لا تقف عند حدود التعبير عن رغبة الفرد أو مشاعره، ولا عند التأثير في الآخرين، مع أننا كثيراً ما نستخدمها في أداء هذه الوظائف، بل تعبر أيضاً عن كم لا نهاية له من المعلومات التي لا تقتصر على أرقام الهواتف والمهن والأذواق في اختيار الموسيقا وألوان الطعام، بل تشمل أيضا حجم الكرة الأرضية الحقيقي، وعمر الكون التقديري، والمبادىء الأساسية في التسويق والرياضيات وطبائع الخنافس وسلوك البروتونات والأحداث التي شهدتها مدينة مدريد يوم 2 مايو أيار 1808 وهذه جميعها أشياء لا علاقة لها بما يريد المتكلم أو الكاتب في لحظة الكلام أو الكتابة».** (بيكرتون، ص 5).

إن تنمية المقدرة اللغوية لا تعني أن يصبح المرء متمكناً من اللغة، مجيداً للكلام أو الحوار، فحسب، بل تعني قادراً على الفهم، والتفكير، وتلقي العلوم، والمشاركة في البناء والتطوير، وأن يحتفظ بهويته القومية، ويتمثل ثقافتها وعاداتها، إن تنمية المقدرة اللغوية لا تعني أن ينظم المرء الشعر، أو يكتب قصة أو يحفظ كلمات معجمية، إنما تعني أن يمتلك الوسيلة التي يحقق بها ذاته، ويثبت حضوره، وبها يتلقى العلوم، ويطور حياته.

ويمكن أن نتحدث في اللغة عن مستويين، المستوى الأول من اللغة يتمثل في النحو والقواعد والمعاجم والمفردات والأصوات ومؤلفات الأدب والعلوم وملايين الكتب المطبوعة، وهذا المستوى من اللغة ذو

مستويات أيضاً، والمستوى الثاني من اللغة يتمثل في الكلام اليومي الذي يقال في السوق والبيت والشارع والاجتماعات والاحتفالات والندوات ويلقى في المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية، وهذا المستوى من اللغة ذو مستويات أيضاً، والمقدرة اللغوية هي ممارسة المستويين السابقين، أي إن المقدرة اللغوية هي امتلاك القدرة على التفكير والكلام والقراءة والكتابة وتلقي العلوم وتطوير الذات وامتلاك الثقافة وتمثل الروح القومية، وهذه المقدرة يمارسها الإنسان، ولا يمارسها الحاسوب، ولا يقوم بها، ولكنه يعين عليها.

ولذلك لابد من التمييز بين اللغة وممارسة اللغة، قد توجد اللغة في الرقم الطينية أو في ملايين الكتب المطبوعة أو في الحواسيب، أو قد توجد في أجهزة التسجيل المرئي أو المسموع، وهذه كلها أدوات معينة على ممارسة اللغة، وليست اللغة نفسها، اللغة هي في الدماغ، والدماغ هو الذي يحقق وجود اللغة، ويمكن توضيح الأمر على الشكل التالي: في القدر يطهى الطعام، والمعدة هي التي تهضمه، وفي الحاسوب تجمع اللغة، والدماغ هو الذي يمارسها.

إن الدماغ هو الذي يقوم بعملية تركيب الجملة، وتحميلها المعنى، وهو الذي يقوم بإدراك المعنى الحسي المباشر، والمعاني المجازية، والمعاني الإيحائية، وهو يصنع ما في الجملة من ترتيب نحوي، من تقديم أو تأخير، وما في الكلمة من اشتقاق، والدماغ هو الذي يدرك ذلك كله، والحاسوب لا يصنع شيئا من هذا، إنما يقدم تسهيلات، تعين

على سرعة التأليف، ولكنه لا يؤلف، هناك برامج لاكتشاف الأخطاء الطباعية والإملائية، وقد تكون هناك برامج لتصحيحها فوراً، وفق ما يزوده به الإنسان من برامج، ولكن لا يملك القدرة على التصحيح النحوي، ولا على تركيب الجملة، ومن الصعب تزويده ببرامج يصحح بها بناء الجملة، لأن بناءها متغير، ولا يقوم بناء الجملة دائماً على ورود الفعل أولاً ثم الفاعل ثم المفعول به ثم الحال ثم الجار والمجرور، إذ غالباً ما يحدث التغيير في مثل هذا الترتيب في معظم لغات العالم من أجل قيمة بلاغية، ولا يمكن أن يفرض الحاسوب ترتيباً ثابتاً، كما لا يمكن أن يقترح احتمالاً من بين احتمالات كثيرة، ففي جملة مثل: «قدم النّادل صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم» تقع احتمالات بناء كثيرة، منها:

1 ـ قدم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم.

2 ـ سريعاً قدم النادل صحناً إلى الزبون في مطعم مزدحم.

3 ـ في مطعم مزدحم قدم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً .

4 ـ صحناً قدم النادل إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم .

5 ـ إلى الزبون سريعاً قدم النادل صحناً في مطعم مزدحم .

6 ـ النادل قدم صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم .

7 ـ قدم النادل في مطعم مزدحم صحناً إلى الزبون سريعاً.

8 ـ قدم النادل سريعاً صحناً إلى الزبون في مطعم مزدحم.

9 ـ قدم في مطعم مزدحم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً.

10 ـ قدم النادل إلى الزبون سريعاً صحناً في مطعم مزدحم.

11 ـ قدم النادل سريعاً إلى الزبون صحناً في مطعم مزدحم.

12 ـ قدم النادل إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم صحناً.

كما لا يمكن أن يميز الحاسوب بين: موجة البحر، وموجة الحر، وموجة البرد، وموجة الحمى، وموجة الإبداع، وموجة الغلاء، ولا يمكن أن يميز بين معاني كلمة ضرب في الجمل التالية: «ضرب الرجل الولد» و «ضرب الرجل مثلا» و «ضرب في الأرض» و «ضرب عشاء دسماً»، كما لا يمكن أن يميز بين مستعمر ومستعمر، بفتح الميم أو كسرها.

إن لغة الإنسان تختلف كلياً عن الأشكال اللغوية التي تظهر بشكل ما عند بعض الحيوانات، وهذا الاختلاف لا يتمثل في عدد المفردات، أو في عدد البنى والصيغ، إنما يتمثل في النوعية، وفي الحرية الكبيرة لدى الإنسان في ممارسة اللغة، وفي اختراع ما هو جديد، يقول بيكرتون: **«أما فيما يتعلق بكمية المعلومات أو درجة تعقيدها فلا مجال للمنافسة بين لغة الإنسان وما يسمى باللغات الأخرى... وليست القضية قضية تفوق عددي فحسب، فلغة الإنسان نظام مفتوح، أما نظم التواصل عند الحيوان فمغلقة، بمعنى أنه بغض النظر عن عدد الأشياء التي نستطيع أن نتكلم عنها، فإن باستطاعتنا دوماً إضافة ما هو جديد... إن التفكير بأشياء جديدة سيل لا ينقطع عند بني البشر، إن قدرتنا المطلقة على إضافة ما نشاء إلى لائحة موضوعاتنا وعجز المخلوقات الأخرى في هذا المجال تدل على اختلاف في النوع وليس فقط في الكم».** (بيكرتون، ص 9).

ويؤكد بيكرتون أن اللغة ميزة إنسانية فيقول: **«إن النحو وهو لب اللغة الإنسانية، وأكثر ما يميزها عن المحاولات اللغوية عند الحيوان، لا يمكن أن يكون مجرد اختراع أنتجته أفكار عباقرة أذكياء، لأن لهم أدمغة ضخمة، وإذا لم يكن النحو من المخترعات فهو إذن نشاط يقوم به الدماغ آلياً، وإذا كان الدماغ يقوم بهذا النشاط آلياً فلا بد من أن يكون قد تطور بطرق محددة جعلت من الممكن إنتاج اللغة بشكل آلي، ولما كانت أدمغة أجيال لا حصر لها تعاقبت على مر العصور تنتج لغة تتوافق مع ذات المبادىء البنيوية الثابتة، بصرف النظر عن اختلاف التفاصيل الدقيقة كالأصوات والمفردات، فإن بوسعنا الافتراض بأن آليات الدماغ التي تحدد اللغة تنتقل بالوراثة أيضاً»** (بيكرتون، ص 35).

ويتلخص رأيه في قوله: **«إن النحو صفة من الصفات البيولوجية للنوع الإنساني، تماماً مثل قدرة الإنسان على الوقوف والمشي منتصب القامة، وميزة الإبهام في اليد البشرية لا أكثر ولا أقل»** (بيكرتون، ص 37).

إن الدماغ البشري هو الذي يقوم باختيار بناء الجملة وفق غرض معين، ولا يمكن أن يقوم الحاسوب بمثل هذا الاختيار، حتى لو توافرت له أنماط الأبنية واحتمالاتها في برنامج خاص، ولا بد في النهاية من أن يقوم العقل البشري بالاختيار، ومهما يكن يبقى المستقبل مفتوحا على احتمالات غير محدودة، ومن الممكن تطوير برامج، نتفاءل بتحقيقها.

ولكن يبقى الحاسوب آلة معينة، ولا يمكن أن يحل محل الدماغ البشري، ولا يمكن أن يقوم بالعمليات التي يقوم بها الدماغ، إن

الحاسوب يقدم تسهيلات ووسائل معينة، وهي خدمات كبيرة لا تقدر، كما يقوم بالتواصل والاتصال بين البشر في شتى بقاع الأرض، ويلغي الحواجز والحدود، ويوفر من المعلومات ما لا توفره عدة مكتبات في عدة بقاع من الأرض، وينقلها بسرعة هائلة.

ولكن هذا كله يقتضي ألا نبالغ في تقدير قيمة الحاسوب ودوره في تنمية المقدرة اللغوية، كما يجب ألا نقلل منها أيضاً، فهو مثله مثل أي آلة، يملك طاقة عالية، ولكن يبقى الدور الأول للإنسان الذي يستخدم هذه الآلة، والإنسان هنا هو الطفل.

ولعل مثالاً تقريبيّاً يؤكد دور الإنسان، إنه لا يكفي أن تعطي الطفل معجماً مثل لسان العرب ليملأ به رفاً كاملاً من رفوف مكتبته، وتطمئن عندئذ إلى أنه أتقن العربية، كذلك لا يكفي أن تمنح الطفل حاسوباً لتطمئن إلى أنه بوساطته سيتمكن من إتقان العربية. لا شك أن الحاسوب سيوفر للطفل إمكانات كبيرة لا يوفرها له الكتاب ولا المجلة ولا المدرسة ولا المعلم نفسه ولكن هذه الإمكانات لا يمكن الاستفادة منها عفوياً أو تلقائياً.

ثانياً ـ الميزات التي يمنحها الحاسوب :

يستطيع الطفل التعامل مع الحاسوب قبل السنة الرابعة من العمر، ويمكن أن يعمل عليه وهو في الرابعة، ولو كان عمله في الألعاب، لأن الألعاب أياً كانت تنمي وعيه، وتقوي مداركه، وتزيد من حدة نشاطه،

وهي على الأقل تسلّيه، والتسلية مطلب إنساني في الأعمار كافة، وهي لا تسليه فحسب، بل تربطه بالحاسوب، وتعلمه سرعة التعامل معه، وخير وسيلة للتعلم هي اللعب، وسرعان ما ينتقل بعد ذلك إلى الاستفادة المباشرة، ويمكنه أن يتصل بمعلميه بوساطة الشابكة، وأن يرسل إليهم واجباته وأن يسألهم.

يوفر الحاسوب الحرية، وعدم الخضوع لنظام المدرسة وقوانينها وما تضيعه من وقت، إن الحاسوب سيساعد الطفل على اختيار الموضوع الذي يريد في الوقت الذي يريد في المكان الذي يريد، ولا سيما عندما يتعامل مع الحاسوب المحمول، فهو غير مقيد بزمان أو بمكان، وسيوفر عليه الوقت والجهد، ولن يخضع الطفل مع الحاسوب لسيطرة المعلم ومزاجه وقسوته وأخطائه، سيكون الطفل هو سيد نفسه، وصاحب القرار، والمتحمل للمسؤولية، وسيفتح الحاسوب أمام الطفل آفاق المعرفة، بما يوفر له من معلومات، ولن يبقى مقيداً بمناهج قديمة لا تتغير إلا بعد أن يتجاوزها الزمن بسنين عدداً، يفرضها الكبار على الصغار، ويفرضها رجال ينتمون إلى جيل غير الجيل الذي يتعاملون معه، إن الطفل سيختار معلوماته، وسيملك من المعلومات أكثر ممّا يملك معلمه، سيكون الأطفال أكثر قدرة على التعامل مع الحاسوب من جيل المعلمين الذين جمدوا عند مستوى من المعرفة وعند نمط من الأداء، لم يطوروا أنفسهم، وهم يرفضون الحاسوب، ويتمسكون بالقديم، لعدم امتلاكهم المرونة أو القدرة على التجديد.

إن الجيل الجديد من الأطفال يميل إلى كسر الانضباط، ورفض الالتزام بالأنظمة والقوانين، والخروج عن كل ما هو مقرر ومفروض، ويجد العنت كل العنت في التعلّم، بسبب هذا المزاج، وبسبب الأنظمة، والقوانين المدرسية التي لم تتطور مع تطور الطفل في العالم، وفي دخول الحاسوب في العملية التعليمية في المدرسة وفي البيت ما سيمنح الطفل قدراً كبيراً من الحرية، ويحقق له قدراً كبيراً مما يتفق ومزاجه الجديد، ومن الممكن أن يحقق الحاسوب في المدرسة مناخاً من الحرية يقلل من رتابة التدريس وأساليبه الصعبة، وبإمكان المعلم أن يتلقى واجبات الطلبة على الحاسوب وأن يصححها لهم، وأن يتصل بهم عبر الشابكة، وأن يدخل معهم في حوار مباشر في منزلهم، وأن يقترب من مزاجهم، كي تتخلص العملية التعليمية من عوائق كثيرة.

يقول الدكتور المعتوق: **«لقد أجريت بعض الدراسات على التلفزيون كوسيلة تعليمية فوجد أن التعليم عن طريقه يقلل من تأخر الطلاب وغياباتهم ويسيطر على ما لدى بعض المتعلمين من سلوك سيء، كما ثبت أن الصفوف التي استعان المدرسون فيها بالتدريس بالتلفزيون أفضل من تلك التي درست بالطرق المعتادة فقط. وبذلك فإن التلفزيون التعليمي يمكن أن يكون في مقدمة الوسائل التي تشترك في تجسيد اللغة وتقريرها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المتعددة، بشرط أن تتوافر المادة التعليمية النافعة والتخطيط السليم في العرض والتوجيه السديد في الاستخدام، لئلا تتحول هذه الأداة إلى وسيلة**

ترفيه بحتة وأداة لقتل الوقت». (المعتوق، ص 190) وإذا كان التلفزيون يحقق ما يحقق، فإن الحاسوب سيحقق ما هو أكثر.

إن الأطفال أقدر من الكبار على التعامل مع الحاسوب وأسرع في التأقلم معه، وأكثر قدرة على الإفادة من تقاناته المتعددة، وهم أقدر على صنع برامج تخدم مناهجهم، وكما يقول جيتس: **«وعادة ما توتر الكومبيوترات أعصاب أي شخص إلى أن يفهمها، والأطفال هم الاستثناء الرئيسي هنا».** (جيتس، ص 404).

يندفع الطفل إلى التعامل مع الحاسوب بحماسة وشوق ورغبة أكثر مما يندفع للتعامل مع الكتاب لأنه مع الحاسوب يشعر أنه يتعامل مع تقانة علمية جديدة، ويدرك أنه يتعامل مع أداة حضارية، وهذا مما يزيد من ثقة الطفل بنفسه، ويشعر الطفل وهو يتعامل مع الحاسوب بالبهجة والمتعة لما فيه من حداثة وأساليب مسلية تجمع بين الجد واللعب، والحاسوب ينفي عنه الملل والكسل، ويساعده على التركيز، ويقلل من انشغاله بأمور أخرى، فالطفل يصبر على العمل في الحاسوب ساعات أكثر مما يصبر على العمل في قاعة الصف أو في التعلم مع الكتاب، ويجعله في تنافس مستمر مع عالم واسع من المعلومات، وينمي الحاسوب شخصية الطفل ويجعله أقدر على الحوار والمحاجة والتفاهم والتواصل مع الآخرين وتأكيد الذات، ويمنحه الثقة بنفسه، كما يزرع في نفسه الثقة بلغته العربية، ويؤكد له أن لغته قادرة على استيعاب معطيات الحضارة، والتعامل معها.

يطور الطفل بوساطة الحاسوب مهارته في القراءة والكتابة والفهم والاستيعاب والرسم وإعداد البرامج، ويساعده على سماع العربية الفصيحة، وهي تؤدّى الأداء السليم والجميل من خلال برامج تلاوة القرآن الكريم وإلقاء الشعر، ويساعد الحاسوب الطفل على حل كثير من مشكلات النطق والسلوك، كالتلعثم والتردد والارتباك، كما يساعده على النطق الصحيح للأحرف اللثوية والحروف القمرية، ولا سيما الجيم، والحروف الشمسية، وقراءة الأعداد مكتوبة بالكلمات، وتطبيق كثير من القواعد، ويعلمه فن الإلقاء والخطابة والمحادثة وإجراء المقابلات وفن الحوار.

ويوفر الحاسوب للطفل قراءة سهلة واضحة ممتعة، إذ بإمكانه أن يتحكم بحجم النص والحرف ونوعه ولونه ودرجة الإضاءة، وأن يعلق على النص وأن يضيف إليه ويعدل فيه وأن يرسله إلى صديق وأن يطبعه، مما لا توفره صفحات الكتاب. ويعلم الحاسوب الطفل سرعة القراءة، وسرعة التفكير، إذ عليه أن يكتب بالسرعة نفسها التي يفكر فيها، وسرعة الكتابة على الحاسوب هي أكبر من سرعة الكتابة بالقلم على الورق، والنتيجة هي سرعة التأليف، كما أن سرعة الكتابة هي ناتجة عن سرعة القراءة التي يوفرها الحاسوب. وتساعد برامج الحاسوب على إنتاج أكبر وأسرع، إذ يريح الحاسوب من مشكلة المسودة والمبيضة والتنقيح وإعادة الكتابة، إذ يوفر الحاسوب إمكان القص واللصق والتقديم والتأخير والحذف والإدراج، وهي تقانات عالية السرعة توفر الوقت

والجهد، وتنمي القدرة على الكتابة والقراءة، بل تجعل القراءة والكتابة ممتعتين.

ويزود الحاسوب الطفل بمفردات جديدة في عالم الحاسوب، من مثل: إدراج، إدخال، فتح، إغلاق، عرض، إعداد، لوحة المفاتيح، القرص المرن، القرص الصلب، نسخ، قص، لصق، حذف، ويطلق مقدرته على اشتقاق مفردات تناسب الحاسوب أو ترجمة مفرداته إلى العربية، كأن يشتق حوسب ومحوسب من حاسوب، وهو يمتلك مصطلحات جديدة، من مثل: تخزين، وشاشة، وإضاءة، وقص ولصق وإدخال وبرمجة وإعداد واتصال، كما يطلق مقدرته اللغوية على تعريب بعض المصطلحات، فقد شاعت بين الأطفال مصطلحات من مثل: (سّيف) حفظ و(كنصل) أغلق وأغى و(بلتس) أرسل للحفظ و(ديليت) حذف و(فرمت) أعاد التركيب و(ديسك) قرص و(سيدي) قرص صلب و(هارد) مُخزّن و(لأبتوت) محمول، وإذا كان الطفل يجد نفسه مضطرا لا شعورياً في مرحلة إلى التعريب، فإنه سيجد نفسه في مرحلة تالية قد امتلك المقدرة على الترجمة.

ويبدو العمل على الحاسوب ممتعاً ومسلياً وكأنه لعب، لما يمكن أن يصاحب العمل عليه من سماع الموسيقا أو الأغنيات ولما يكون فيه من ألوان، ورسوم وتقانات التسلية، مما يجعل العمل ممتعاً، بخلاف المدرسة التي تفرض النظام القاسي الجاف الخشن. إن العمل على الحاسوب هو بحد ذاته سلوك، يخلق لدى الطفل عادة سلوكية مختلفة

كلياً عن عاداته السلوكية الأخرى، ولا سيما عندما يعمل على الحاسوب المحمول، إذ يدرك أنه يفعل شيئاً مختلفاً عن القراءة في الكتاب وراء الطاولة، وكل سلوك ينتج نمطاً لغوياً مختلفاً عن السلوك الآخر.

سيضع الحاسوب العالم كله بين يدي الطفل، ويفتح أمامه أبواباً ونوافذ لا يمكن التنبؤ بها، إذ يمكنه أن يتصل بأصدقاء في العالم كله، وأن يقيم معهم علاقات منوعة، وأن يكتب لهم، وأن يتكلم معهم، وأن يراهم وهو وراء الحاسوب في منزله، ويعرف من خلالهم شعوب العالم بما لديها من عادات وتقاليد، فتنمو مداركه وتتسع آفاق معرفته، فتنمو لغته وتتطور، وتغتني.

سيربط الحاسوب الطفل بمدرسة افتراضية، لا تقيده بزمان ولا بمكان، تمنحه ما لا يخطر على بال من أشكال العمل والمعرفة والثقافة، إن العمل على الحاسوب سيولّد ما دعته ديل سبندر: «التشابك مع الشابكة»، وهو عنوان كتاب لها، وفي أحد فصوله تقول: **«مدرسة المستقبل هي نموذج للمدرسة الإلكترونية التي لن يحتاج معها الطلاب إلى الحضور وسماع الدروس التي يلقيها المعلم، وذلك لأن الدروس تلقى من خلال الشبكة، وبذلك تكون الشبكة بمنزلة وسيلة النقل بدلا من المعلم كما أن الطالب الذي يستخدم الشبكة يكون أكثر معرفة من المعلم في بعض الأحيان، وذلك تبعاً لاهتمام هذا الطالب النموذج المثقل بالمعلومات، ومن خلال الشبكة يمكن للطالب توجيه**

أسئلة والحصول على معلومات وتغذية راجعة فورية لا على الصعيد المحلي فحسب، بل على المستوى العالمي، بحيث يتم التفاعل على مستوى القرية العالمية». (سبندر، ص 47 ـ 48).

إن الميزات السابقة التي يمنحها الحاسوب للطفل ليست مجرد ميزات منفردة أو متراكمة أو متتابعة أو متوازية، وإنما هي ميزات متفاعلة، بين بعضها وبعضها الآخر علاقات، وهي تولد ميزات أخرى غير متوقعة، تغير في ذهنية الطفل وآلية التعامل معه، إن الحاسوب سيغير مستقبلا كل شيء، نمط الدروس، وطرق الامتحان، وأساليب التعلم والتعليم.

إن الآفاق المستقبلية للحاسوب وقدرته على تنمية اللغة عند الطفل غير محدودة، ولا سيما خدمته الكبيرة للعربية الفصيحة، وهنا تكمن أهمية الحاسوب، إذ ستكون برامجه متطورة فنياً، ومشوقة، ومعدة بالعربية الفصيحة، وهي بذلك تساعد على تقليص الفوارق بين الفصيحة والعامية، وتساعد على نشر التعليم، وتعميق الثقافة، وتأكيد ثقافة الكلمة بدلاً من ثقافة الصورة، وتنمية الشعور القومي، وتحقيق التقارب الثقافي والمعرفي والوجداني بين الأشقاء العرب في الوطن العربي.

إن إمكانات الحاسوب ووسائله المتاحة حتى الآن ليست بالقليلة، ويمكنها أن تحقق تنمية لغوية واسعة ومعمقة، إذا ما أخذ بها وطبقت في المنازل ورياض الأطفال والمدارس.

ثالثاً ـ طبيعة العلاقة مع الحاسوب :

من المعروف بداهة أن الإنسان يتعلم الكلام أولاً، ثم يتعلم الكتابة والقراءة، والمرء لا يكاد يعرف كيف تعلم الكلام، ولا يكاد يذكر، وهو يتعلمه ببساطة وعفوية، في المنزل بين أبويه، ومع إخوته، ثم في المجتمع، ولكنه يعاني بعد ذلك من تعلم الكتابة، ويكاد الكلام يكون عفوياً، ونتاج نمو عضوي، كأنه حاجة غريزية، كالحاجة إلى الطعام، في حين يبدو تعلم الكتابة والقراءة فعلاً إرادياً واعياً، وهو فعل منظم، وفيه قدر كبير من الصعوبة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى التاريخ والشعوب، فقد تكلم الإنسان أولاً، ثم اخترع بعد ذلك الكتابة بأشكال وطرق مختلفة، ثم اخترع الأبجدية.

«فمن ناحية النشوء النوعي تعلم الإنسان الكلام قبل الكتابة، ومن ناحية تطور الفرد كفرد تعلم الطفل أن يتكلم قبل أن يكتب، ولهذا السبب ينظر إلى اللغة المكتوبة على أنها لغة منطوقة دونت في نظام مكتوب مصطلح ومتعارف عليه ويعبر عنها بطريقة خاصة في الكتابة» (غنيم، ص 93).

ولغة الكلام هي أدنى من لغة الكتابة، لأن لغة الكلام ارتجالية عفوية سريعة، وهي نفعية، غايتها التواصل، ولغة الكتابة هي لغة مختلفة، تحمل معلومات منظمة، مرتبة، دقيقة، أو تعبر عن انفعالات ومشاعر ناضجة، وليست عابرة أو مؤقتة، والفرق بينهما غالباً غير قليل، وتسمى لغة الكلام اللهجة العامية، كما تسمى لغة الكتابة اللغة الفصيحة، والفارق

بينهما يزداد في حال انتشار الأمية والجهل والتخلف، ويقل الفرق بينهما في حال انتشار العلم وتحقق وسائل التواصل والاتصال.

لقد كان الكلام في العصور القديمة كافياً وحده، وكانت الحاجة إلى الكتابة قليلة، لأن العلوم كانت بسيطة وقليلة، وكان الكلام وحده قادراً على حمل العلوم والثقافات، وكان التعويل على الكتابة قليلاً، وهي مرحلة الشفاهية، ولكن سرعان ما قويت الحاجة إلى الكتابة واشتدت، مع تراكم الثقافات ونمو العلوم والمعارف، على نحو ما كان في العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي، فكان الشعر يتناقل شفاهاً، كما كان القرآن الكريم يحفظ في الصدور، وكانت الخطب هي الوسيلة الثقافية المعبرة عن المجتمع، وكان الاعتماد على التدوين قليلاً، ولكن سرعان ما دون القرآن الكريم، وكتبت منه النسخ، ووزعت على الأمصار، وظهرت الحاجة إلى تدوين الأشعار واللغة والأخبار، ثم بدأت المصنفات بالظهور.

والمقصود بالتنمية تطوير المقدرة اللغوية، والانتقال بها باستمرار من مستوى إلى مستوى آخر أفضل من سابقه، وأجود، والمقصود بالمقدرة اللغوية المهارات اللغوية التي يمارسها الطفل من كلام وتواصل مع الناس وقراءة وفهم واستيعاب وكتابة، وتلقٍّ للعلوم والمعارف، وقدرة على التعبير عن الذات، وتحقيق الوجود والتواصل الفعال مع البيئة المحيطة، وتحقيق الهوية القومية والثقافية.

ولذلك فإن تنمية المقدرة اللغوية بوساطة الحاسوب لا بد أن تتم بأشكال مختلفة: من قراءة واستماع وكتابة وفهم ومعالجة وتطوير برامج،

إن المقدرة اللغوية ليست مجرد تمكن من اللغة، وإتقان نحوها وأساليبها، ومعرفة أسرارها والغوص فيها، إنما هي هذا كله، مقروناً بممارستها في الواقع، وفي ميادين العلم والمعرفة، لتحقيق الذات، والحفاظ على الهوية وتحقيق الانتماء إلى الثقافة.

ويميل بعض المربين إلى المبالغة في الفصاحة، وفرض أنماط معينة من بناء الجملة، وأنواع من الألفاظ الفصيحة البعيدة عن الاستعمال، كما يميل بعضهم إلى الإسهاب والتكرار والترادف والتطويل، وهم يقصدون إلى تعليم الطفل اللغة، وهي ظواهر وأساليب لغوية لم تعرفها العربية في عصور الازدهار الحضاري، فقد لحقت بها في عصور الجمود، حيث غلبت العناية بالشكل، ولا تتفق مع السمة المميزة للعربية وهي الإيجاز، ولا تساعد على تعليم اللغة، كما لا تتفق مع معطيات عصر العلم، وسوف يساعد الحاسوب على كسر هذه الظاهرة وتجاوزها، وسوف يعلم الحاسوب الطفل الإيجاز في اللغة والاقتصاد.

ولقد ظهرت مؤلفات لغوية تقوم على جمع الألفاظ وتبويبها وفق المعاني والدلالات، بغية تعليم الطفل اللغة، ومثل هذه المؤلفات لا تعلم اللغة، ولا تنمّي المقدرة اللغوية لدى الطفل، لأن المفردات وحدها خارج السياق لا تملك القوة على التأثير ولا تساعد على الحفظ، ولا تمكن الطفل من استعمالها، إن كلمة «طلّ» مفردة لا يمكن أن يحفظها الطفل، ولو شُرح معناها، ولكن الطفل سيدرك معناها وسيحفظها فور قراءته مثل هذه الجملة: «تسقط حبات الطل

عن أوراق الأشجار في الصباح الباكر قبل شروق الشمس متلألئة مثل دموع الفرح».

وظهرت مؤلفات لغوية أخرى تكشف عن الأخطاء الشائعة وتصوبها، ولا يمكن إنكار قيمتها، ولكنها تفيد المختص في المقام الأول، ولا يمكن أن تنمي المقدرة اللغوية، ولا سيما عند الطفل، لأن المقدرة اللغوية لا تنمو إلا بالتواصل مع الإجراءات اللغوية الصحيحة والسليمة: قراءة وكتابة ونطقاً واستماعاً، إن معرفة الخطأ وحده لا يكفي لكتابة سليمة، بل لا بد من التمرس بما هو صحيح وسليم وجيد، فهو أكثر تأثيرا، وبعض هذه المؤلفات يبالغ في التخطيء، فأحياناً تفرض هذه المؤلفات استخدام الكلمة بمعناها المعجمي، وتنسى المجازي، وأحياناً تفرض أسلوباً محدداً في بناء الجملة، مع أن بناء الجملة ليس قالباً ثابتاً، ولا بد فيه من تقديم وتأخير وحذف، وفي أحايين كثيرة تغيب عنها أوجه هي من لغات العرب ولهجاتهم.

ولا بد من تأكيد قيمة ذات أهمية كبيرة، وهي النسق المعرفي، في مقابل المفردة المعزولة عن السياق، سواء أكانت هذه المفردة كلمة أو معلومة، إنه ليس من المفيد في شيء أن يزود الطفل في جلسة واحدة أو في كتيب واحد بمعلومات جزئية مفردة عن محيط الأرض وعن الروائي تولستوي وعن عدد دقات القلب وعن أعلى قمة في العالم وعن بيتهوفن وعن استقلال أمريكا، فهي معلومات جزئية مفردة، لا تشكل نسقاً معرفياً متكاملاً، ومن الأفضل للطفل أن يتلقى في جلسة واحدة أو في

كتيب واحد معلومات وافية عن بيتهوفن والموسيقا السيمفونية، لأنها تشكل نسقاً معرفياً كاملاً، لا تُنسى مفرداته. وتبرز هذه المشكلة أوضح ما تبرز في وضع المصطلحات، إذ من الصعب على من يعمل في الطب أن يضع مصطلحاً أو يترجم مصطلحاً في مجال علم النفس، ولكن من السهل على العامل في مجال الطب أن يضع مصطلحاً في عالم الطب أو أن يترجم مثل ذلك المصطلح، لأنه يتعامل مع نسق معرفي كامل هو الطب.

ولا بد من تأكيد قيمة أخرى وهي التراكم والتعليم المستمر والنمو مع الزمن، إذ لا يمكن أن يغدو الطفل بين عشية وضحاها ضليعاً في اللغة، ولو استخدمت في تعليمه كل الوسائل التعليمية الحديثة، فالمعرفة لا تتحقق دفعة واحدة، ولا تتحقق مرة واحدة، ولا بد من التكرار والاستمرار والتراكم والنمو.

يقول الدكتور المعتوق: **«إن ممارسة استخدام المحصول اللغوي المختزن في الذاكرة لا تزيد من حيوية وإنعاش هذا المحصول وحضوره الدائم في الذهن ومن فاعليته في التعبير فحسب، وإنما تعمل أيضاً على تنميته والإسراع في إغنائه، فمن الثابت في علم النفس أن الخبرات أو المعلومات القديمة تساعد على خفض الفترة الزمنية اللازمة لتعلم مهارات جديدة أو تلقي معلومات جديدة، وهذا المبدأ يتمثل بصورة أكثر وضوحاً في تعلم اللغة وتلقن مفرداتها وصيغها، فالمفردات المدركة شكلاً ومعنى والمختزنة في ذاكرة الفرد تعينه**

على تصور وإدراك مفردات أخرى مرتبطة بها، أو مجاورة لها في كلام يقرؤه أو يسمعه، إذ إنها تخلق سياقاً معيناً يعين على إدراك واستيعاب ما لم يوجد في الذاكرة من قبل، وبالتالي تدخل العناصر الجديدة إلى الذاكرة بسهولة نتيجة لارتباطها بالعناصر القديمة، وقد تطرق فندريس إلى هذه الفكرة بقوله: عندما نسمع جملة أو نقرؤها نرى الكلمات التي تشتمل عليها يفسر بعضها بعضا، فإذا كانت واحدة منها غير مألوفة لنا ـ والواقع أن هناك دائماً فترة في حياتنا نسمع فيها كلمة لأول مرة ـ حاولنا بطبيعة الحال تفسيرها معتمدين على سياق النص، وهذه هي الخطة التي يتبعها التلاميذ عندما يحاولون ترجمة نص أجنبي. (المعتوق، ص 277).

ويؤكد الفكرة ثانية بقوله: **«ويمكن القول إنه كلما كانت العناصر القديمة أوفر كان الترابط أكثر ودخول العناصر الجديدة أيسر، وكلما قلت العناصر القديمة قلت نسبة الترابط، وصعب التصوير، وتعثر رسوخ العناصر الجديدة في الذاكرة، لأن توافر العناصر القديمة يؤدي في الغالب إلى زيادة الفرص لإدراك معاني الكلمات الغريبة في سياقها الجديد».** (المعتوق، ص 278).

رابعاً ـ الطفل وتنمية اللغة بالحاسوب :

إن الحاسوب لا يعمل وحده، ولا بد من طفل يتعامل معه، ولا بد لهذا الطفل من الرغبة والإرادة والصبر والتصميم، ومساعدة المعلم في

المدرسة والأهل في البيت، ولا بد له من حسن التوجيه، ودوام التشجيع، ولا بد له أخيراً من أن يدرك واعيا أنه حقق شيئا، واستفاد، وأن مقدرته على الكلام والحوار والقراءة والكتابة قد تطورت، وأن معلوماته قد نمت، حتى يشعر بجدوى التعلم، ويستمر فيه.

إن الحاسوب يقوي شخصية الطفل، ويساعده على تحقيق التعليم الذاتي، ويمكن أن يعد الحاسوب أفضل أداة لتحقيق هذا النوع من التعليم، **«ويقصد بالتعليم الذاتي تمكين المتعلم من الاعتماد على نفسه بصورة دائمة ومستمرة في اكتساب المعارف والمهارات، ولا بد من توافر أربعة مكونات أساسية فيه، هي: وجود الدافع أو الحافز، وإعطاء المثيرات والمعلومات المميزة، وقيام المتعلم بالاستجابة والنشاط في أثناء عملية التعليم، واطلاع المتعلم فوراً على نتيجة عمله، والتعليم المبرمج أحد أساليب التعليم الذاتي»** (السيد، ص 286 ـ 287).

ولا بد أن يقتنع الطفل بأهمية تنمية مقدرته اللغوية، والفائدة منها، حتى يقبل عليها، لأن الإنسان عامة والطفل خاصة لا يهتم بأي شيء إلا إذا أدرك أهميته، واقتنع بوجود فائدة من ورائه، وعليه أن يدرك أن تعلم اللغة ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة ليطور علاقاته مع العالم، ويحسن تلقي العلوم، وما وسيلته إلى تلقي الرياضيات والكيمياء والعلوم إلا اللغة، وليحسن التفكير، وليجيد التعبير، وليقتنع بأن إتقان اللغة ضروري لتلقي العلوم، وامتلاك الثقافة، وتحقيق الانتماء إلى الأمة والعصر والحضارة، فإذا ما أدرك ذلك كله أقبل على تعلم اللغة وإتقانها.

بل إن على الطفل أن يدرك أنه عندما يتقن اللغة إنما يحقق وجوده بصفته إنساناً، يتميز عن سائر الكائنات باللغة التي يتكلمها، وأنه من خلال اللغة يتعرف على العالم، فاللغة تعرفه على المحسوسات في الكون، من جماد ونبات وحيوان، وتعرفه على المعاني من حب وكره وغضب ورضا وحزن وفرح، حتى قبل أن يعيش مثل هذه المشاعر، وهو حين يعيشها يعبر عنها باللغة، فيعي ذاته، ويعيها، بل إن اللغة تعرفه على الدين وما وراء الطبيعة والمغيبات، فاللغة تعلمه معنى الله والشيطان، وتعرفه على ما لا يراه، من كائنات أسطورية، فاللغة معرفة وحسّ ووجدان وخيال، بل هي تاريخ وجغرافية وفلسفة، هي المخزون الثقافي للبشرية.

يقول بيكرتون: **«اللغة صورة منظمة عن العالم ومرتبة بحيث يمكننا تحديد عناصر المعلومات فيها بسرعة ويسر، فالصورة التي تجزىء مفهومنا عن الواقع إلى أجزاء مسماة وقابلة للاستفادة الفورية هي التي تجعلنا قادرين على الحديث عن العالم وعن كل ما فيه تقريباً، عن كل ما ندركه بالحواس على الأقل، وحتى عن عدد كبير مما لا تدركه الحواس، مثل الملائكة والنيوترونات والقنطور، لكن ما يسمى «لغة» (عند الحيوان) لا يمكن أن يمثل العالم ولا بأي شكل من الأشكال، فلا لغة الإيماء ولا صيحات القرود أو حركاتها يمكنها أن تمثل العالم، إنها تمثل شعور الإنسان أو القرود في تلك اللحظة، وهي بذلك تعبر عن رغباته ونواياه لا أكثر ولا أقل، فلا شيء غير اللغة يمثل العالم بأسره، ذلك العالم الذي يحس به المخلوق ويتفاعل معه»** (بيكرتون، ص 13).

إن الأهداف من تعلم اللغة عديدة، ولا بد من توضيح تلك الأهداف للطفل، كي يقبل على تعلم اللغة، **«إن تحديد الأهداف يساعد على وضوح الغاية ومعرفة الاتجاه، إذ إن وضوح الغاية شرط أساسي لبلوغها، كما أن هذا التحديد يساعد على اختيار الطريقة المناسبة لتحقيق الهدف، إذ لم تعد هناك طريقة واحدة تصح لتحقيق الأهداف جميعها، وتناسب المستويات كلها والظروف والإمكانات جميعها، فإذا ما كان الهدف واضحاً ومحدداً اختيرت الطريقة المناسبة، إذ عندما يكون الهدف واضحاً يحسن الاختيار، وهذا ما ينطبق على الوسائل والأدوات أيضاً»** (السيد، ص 285).

وعلى الطفل أن يدرك أنه إذا تكلم العربية فهذا لا يعني أنه يعرف العربية ويتقنها، فهو يعرف الكلام باللهجة العامية، وهي دون العربية الفصيحة وإن كانت امتداداً لها، وأنه لا يكفي أن يتكلم العربية ليحسب أنه يتقن العربية، إذ لا بد من تعلم العربية الفصيحة ودرسها، وهي غير العامية التي يتكلمها، ولا بد من إتقانها والتمكن منها، إن بعض الناس يقولون: «نحن عرب نتكلم بالسليقة»، ولكن عليهم أن يدركوا أن زمن السليقة قد انتهى، فالكلام بالسليقة كان في العصر الجاهلي وفي العصر الإسلامي، وفي حدود الجزيرة العربية، ولكن ما إن خرج العرب إلى الأمصار، ودخل العصر الأموي، واختلط العرب بالأعاجم، ودخل في الإسلام شعوب كثيرة، حتى انتهى ما يسمى السليقة، وكان الشاعر يضطر للخروج إلى البادية ومخالطة العرب الأقحاح حتى يتلقى عنهم

العربية، أي حتى يتعلم الفصاحة والبلاغة، وكان كثير من الشعراء والأدباء ينتجعون البادية ليخالطوا الأعراب، ويتلقوا عنهم العربية.

وقد يقال إن الطفل سوف يسيء استخدام الحاسوب، وسيتخدمه في اللعب ببرامج التسلية، وهي كثيرة، وسوف تستنفد وقته وجهده، وتشغل تفكيره، ولكن من حق الطفل أن يلعب، وألعاب الحاسوب نفسها تنمي مقدرته اللغوية، واللعب خير وسيلة للتعليم، كما أن الأطفال والكبار كانوا على مر العصور يلعبون وما زالوا ولا بد من وقت للعب سواء في حضور الحاسوب أو في غيابه، وهل من طفل لا يلعب؟ بل إن اللعب ظاهرة صحية.

ومع استمرار الطفل في التعامل مع الحاسوب سيختار ولو بعد حين ما ينفعه ويترك ما لا ينفعه، كما يقول جيتس: **«كلما ازدادت خبرة الناس في التعامل مع الكومبيوترات الشخصية تعمق فهمهم لما يمكن أن يفعلوه وما لا يستطيعون عمله، وعندئذ تصبح الكومبيوترات الشخصية أدوات لا أشياء منطوية على مخاطر، فالكمبيوتر شأنه في ذلك شأن الجرار الزراعي أو ماكينة الخياطة ليس سوى آلة يمكننا استخدامها لمساعدتنا لأداء مهام معينة بكفاءة أكبر»** (جيتس، ص 404).

إن للآلة سحرها الخاص، وهي تجذب الإنسان إليها، وللجديد أيضاً سحره الخاص، ولذلك يتعلق المتعلم أيا كان عمره بما هو آلي وبما هو جديد، ومن الطبيعي أن ينجذب الطفل إلى الحاسوب، فالطفل ينجذب إلى الكتاب ذي الغلاف الجميل الجديد، وينجذب إلى اللوح الجديد

النظيف، وإلى القلم المختلف المتميّز، ومن الطبيعي جداً أن ينجذب إلى الحاسوب، وأن ينمي لغته بالتعامل معه.

إن الحاسوب ـ كما يرى جيتس ـ ينطوي **«على إمكانية أن يصبح أداة لتعلية الذكاء الإنساني على مدى المستقبل المنظور، غير أن الأدوات المعلوماتية لن تصبح الاتجاه السائد في حقل نشر المعلومات حتى يصبح كل إنسان تقريباً مستخدماً للكومبيوتر وسيكون الأمر رائعاً دون ريب عندما تتوافر لدى كل فرد غني أو فقير حضري أو ريفي عجوز أو شاب إمكانية التعامل مع الكومبيوتر».** (جيتس، ص 405) وليس حلم جيتس صعب المنال، فكما أن كل فرد يحمل هاتفه النقال الخاص به، كذلك سيكون لكل فرد حاسوبه المحمول الخاص به.

ولكن من المؤسف أن أكثر الناس يشترون لأولادهم من الألعاب والهدايا ما تبلغ قيمته ثمن الحاسوب، وهم يشترون الهواتف النقالة، ويبدلونها جرياً وراء التطورات الحديثة فيه، كما يشترون أجهزة الاستقبال المرئي، وينفقون عليها أضعاف ثمن الحاسوب، والسيدة في المنزل تزود مطبخها بأجهزة وأدوات يفوق ثمنها أضعاف ثمن الحاسوب، ولذلك فإن الفقر ليس مشكلة، إنما الجهل وغياب الوعي هما المشكلة.

خامساً ـ الحاسوب وخصوصية اللغة العربية :

في العربية خصوصيات تميزها، منها الفرق بين الفصيحة والعامية، أو اللغة المحكية واللغة المكتوبة، وهو فرق قائم في معظم لغات العالم،

ولكنه في العربية أوضح، ويمكن أن يعد من خصوصياتها لسبب أساسي يتمثل في أن الفصيحة تحرك أواخر الكلمات، والعامية تلجأ في معظم الأحيان إلى تسكينها، وهذا السبب غير موجود في معظم اللغات، لأنها تلجأ دائما إلى التسكين، ولا يتغير المعنى، بخلاف العربية، وثمة أسباب أخرى للفرق بين العامية والفصيحة في اللغة العربية، منها عهود من التخلف والفقر والجهل، وانتشار الأمية، وامتداد رقعة الوطن العربي على مناطق جغرافية منوعة، خضعت لظروف تاريخية واقتصادية مختلفة، ولكن الفرق بين العامية والفصيحة بدأ يقل بسبب انتشار التعليم وتطور وسائل الاتصال، وسيكون للحاسوب دور كبير في تقليص المسافة، بين العامية والفصيحة، ولكن ستبقى هناك لهجات عامية لا بد منها، وما هي ببعيدة عن الفصيحة، وإن هي إلا أداء يومي سريع في النطق من غير إعراب للعربية الفصيحة.

إن الآفاق المستقبلية للحاسوب وقدرته على تنمية اللغة عند الطفل غير محدودة، ولا سيما خدمته الكبيرة للعربية الفصيحة، وهنا تكمن أهمية الحاسوب، إذ ستكون برامجه متطورة فنياً، ومشوقة، ومعدة بالعربية الفصيحة، وهي بذلك تساعد على تقليص الفوارق بين الفصيحة والعاميات، وتساعد على نشر التعليم، وتعميق الثقافة، وتأكيد ثقافة الكلمة بدلاً من ثقافة الصورة، وتنمية الشعور القومي، وتحقيق التقارب الثقافي والمعرفي والوجداني بين الأشقاء العرب في الوطن العربي.

ومن أهم خصوصيات العربية القرآن الكريم، فهو المصدر الأول للعربية، وهو كلام اللّه عز وجل، نزل به جبريل الأمين على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد أودع اللّه تعالى فيه آياته المعجزات، فأكسب العربية الفصاحة والبلاغة والبيان وقوة التعبير وشدة التأثير، ومنحها البقاء والخلود، وحفظ أصواتها، فهو إلى اليوم ما يزال يقرأ بأصواته ومداته وسكناته كما سمعه الصحابة عن رسول اللّه، لأنه منقول بالتواتر، ولولا القرآن الكريم لأصبحت العربية لغات بدداً، كما منح الناطقين بها علوماً ومعارف، ولولاه لظلوا قبائل تقتتل، إذ لأجل القرآن الكريم نشأت علوم اللغة والنحو والبلاغة والصرف والفقه والتفسير، ولأجله وُضعت معجمات اللغة والشروح، ولأجله ترجمت كتب الفلسفة والمنطق ونشأ علم الكلام، وإلى اليوم ليس بإمكان المرء أن يكتسب الفصاحة إلا إذا قرأ القرآن الكريم، وتعلم التجويد، ودرس مخارج الحروف، ولا يمتلك البلاغة والبيان إلا إذا درس القرآن الكريم، وعرف أسرار البلاغة فيه، فهو الحافظ لهذه اللغة، وهو الحامل لها، وبه كرمها الله، وبه جعلها مقدسة، ولا يمكن نزع القدسية عنها، ولو جهد المغرضون، لأنها هبة من اللّه، ولذلك فإن خير ما يمكن أن ينمي المقدرة اللغوية عند الطفل هو القرآن الكريم، بسماعه وتلاوته وتجويده وفهمه وتدبر معانيه وحفظه، وفي الحاسوب خير معين على سماع القرآن يتلى بنبرات وإيقاعات كثيرة، ومشاهدة آياته تكتب بحروف مضبوطة ملونة بما يساعد على المتابعة والتلاوة والفهم، وثمة برامج تساعد على التلاوة، وأخرى تعين على الحفظ،

وثالثة فيها شروح وتفاسير، وفي قرص صلب واحد يمكن أن يتوافر للطفل مكتبة قرآنية شاملة.

يقول الدكتور عبد الكريم اليافي: **«على أن أهم ميزة للغة العربية تشرفها بنزول القرآن الكريم فيها حين أصبحت لغة الوحي ولغة اتصال الأرض بالسماء... ولقد حفظ العرب والمسلمون قرآنهم فحفظ لهم لغتهم، ولا شك أن استمرار اللغة العربية وخلودها متصل بالقرآن الكريم»** (اليافي، ص 22).

ثم يؤكد قدسية اللغة العربية، ويعدها لغة أهل الجنة، فيقول: **«إذا تصور المسلمون أحوال الجنة في الآخرة وما ورد في حق أهلها من التمثيل بأحوال أهل الدنيا فلابد من أن يتخيلوا لهم لغة، ولما كان القرآن الكريم كلام اللّه الذي تنزل على خاتم النبيين كانت لغة القرآن خليقة أن تكون لسان أهل الجنة»** (اليافي، ص 30).

إن العربية بفضل القرآن الكريم الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار في العالم كله ظلت مستمرة إلى اليوم لغة حية منذ خمسة عشر قرناً، ولم تنقطع، وما قيل بها من شعر أو نثر قبل ألف وخمسمئة عام ما يزال يقرأ بأصواته ونبراته ويفهم، ويتمثل به الناس ويحفظونه، ويشهد على ذلك الشعر الجاهلي والخطب والأمثال، كما يشهد على ذلك أحاديث رسول اللّه (صلى الله عليه وسلم)، وفي أحاديثه من الفصاحة والبيان ما ليس لسواه من البشر، وقد أوتي جوامع الكلم، ووصفه المولى عز وجل فقال: ﴿**وما ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحي يوحى، علمه شديد**

القوى ﴾ (سورة النجم، 53 الآيات 3 ـ 5)، كما يشهد على استمرار اللغة العربية وبقائها القرآن الكريم.

خاتمة :

لقد ازدهرت في العصر العباسي صناعة الورق، وكثرت الكتب، تأليفاً وترجمة، وانتشرت، وجهد النساخ في الإكثار من نسخها، وبنيت دكاكين الوراقين، وأقيمت دور الكتب، وكان الكتاب يمثل تطوراً نوعياً، وبه دخلت الثقافة مرحلة من التطور، ولقد وصف الجاحظ (توفي 255 هـ ـ 868م) في تلك المرحلة الكتاب، وعبر عن مكانته الحضارية، وقيمته الثقافية، وهو وصف طويل، ولكنه شامل، وفيه يقول: **«نعم الذخر والعُقدة هو، ونعم الجليس والعُدَّة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل، والكتاب وعاءٌ مُلِىءَ علماً، وَظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفاً، وإناءٌ شُحن مُزاحاً وجِدّاً؛ إنْ شِئْتَ كان أبيَنَ من سَحْبَانِ وائل، وإن شئت كان أعيا من باقِل، وإن شئت ضحِكْتَ مِنْ نَوادِره، وإن شِئْتَ عَجِبْتَ من غرائبِ فرائده، وإن شئتَ ألهتْك طرائفُه، وإن شئتَ أشجَتْك مواعظُه، ومن لكَ بِواعظٍ مُلْهٍ، وبِزاجرٍ مُغرٍ، وبناسكٍ فاتِك، وبناطقٍ أخرسَ، وببارد حارّ... ومَنْ لكَ بطبيب أعرابيّ، ومَنْ لك برُوميٍّ هِنْديّ، وبفارسي يونانيّ وبقديم مولَّد، وبميِّت ممتِّع، ومَنْ لكَ بشيء يجْمَعُ لكَ الأوّلَ والآخر، والناقص والوافر، والخفيَّ والظاهر، والشاهدَ والغائبَ،**

والرفيعَ والوضيع، والغثَّ والسمين، والشكْلَ وخِلافَه، والجِنسَ وضدَّه. وبعد: فمتى رأيت بستانا يُحمل في رُدْن، ورَوضةً تُقَلُّ في حِجْر، وناطقاً ينطِق عن الموتَى، ويُترجمُ عن الأحياء ومَنْ لك بمؤنس لا ينام إلاَّ بنومك، ولا ينطق إلاَّ بما تهوَى؛ أَمَنُّ مِنَ الأرض، وأكتمُ للسرِّ من صاحب السرِّ، وأحفظُ للوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين، ومن الأعْرابِ المعربين، بل من الصِّبيان قبل اعتراض الاشتغال، ومن العُميان قبل التمتُّع بتمييز الأشخاص... ولا أعلمُ جاراً أبرَّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوعَ، ولا معلِّماً أخضعَ، ولا صاحبًا أظهرَ كفايةً، ولا أقل جِنايَةً، ولا أقلَّ إمْلالاً وإبرامًا، ولا أحفَلَ أخلاقاً، ولا أقلَّ خلافاً وإجراماً، ولا أقلَّ غيبةً، ولا أبعدَ من عَضِيهة، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً، ولا أقلَّ تصلُّفًا وتكلُّفًا، ولا أبعَدَ من مراء، ولا أتْركَ لشغب، ولا أزهَدَ في جدال، ولا أكفَّ عن قتالٍ، من كتاب، ولا أعلمُ قرينًا أحسنَ موافاةً، ولا أعجَل مكافأة، ولا أحضَر مَعُونة، ولا أخفَّ مؤونة، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً، ولا أطيبَ ثمرةً، ولا أقربَ مُجتنَى، ولا أسرعَ إدراكاً، ولا أوجدَ في كل إبَّان، من كتاب، ولا أعلمُ نتاجاً في حَدَاثةِ سنِّه وقُرْب ميلادِه، ورُخْص ثمنه، وإمكانِ وُجوده، يجمَعُ من التدابير العجيبَة والعلومِ الغريبة، ومن آثار العقولِ الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومِنَ الحِكَم الرفيعة، والمذاهب القويمة، والتجاربِ الحكيمة، ومِنَ الإخبارِ عن القرونِ الماضية، والبلادِ المتنازحَة، والأمثالِ السائرة، والأمم البائدة، ما يجمعُ لك الكتابُ» (الجاحظ، ج1، ص 12 ـ 13).

ولكأن الجاحظ وهو يصف الكتاب إنما يصف بديله لهذا اليوم وهو الحاسوب، ولا سيما المحمول.

ولا بد في الختام من القول إن الحاسوب ليس معجزة، وليس بإمكانه أن يصنع معجزة، وما هو بعصا سحرية تفعل المستحيل، وهو لا يعمل وحده، ولا بد من إنسان يغذيه بالبرامج، ولا بد من إنسان يتعامل معه، وفي حالة الطفل، لا بد له من توجيه ورعاية وإرشاد، وهو يعمل على الحاسوب، سواء في المدرسة أو مقهى الحاسوب أو البيت، ولا تتحقق الغاية المرجوة من الحاسوب إلا إذا عم وانتشر، لأن النهضة لا يصنعها فرد، ولا تتمثل في حالة خاصة، وإذا ترك الأمر كله من غير وعي وتخطيط فقد يقود إلى غير ما هو متوقع.

إن تعليم الطفل وتعلمه بوساطة الحاسوب سيحدث تغييراً كبيراً في عالم الطفل، بل سيحدث تغييراً كبيراً في العالم كله، والمرجو لهذا التغيير أن يكون دائماً في خير الإنسان.

المراجع

1 ـ بيكرتون ديريك، **اللغة وسلوك الإنسان،** تر. محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، 2001 .

2 ـ الجاحظ، **الحيوان،** تح. عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1969.

3 ـ جيتس بيل، **المعلوماتية بعد الإنترنت،** تر. عبد السلام رضوان، **سلسلة عالم المعرفة،** الكويت، العدد 231، مارس آذار 1998.

4 ـ سبندر ديل، مدرسة المستقبل، تر. عيسى إسماعيل، **مجلة بناة الأجيال،** دمشق، العدد 46 ، شتاء 2003.

5 ـ محمود أحمد، **في طرائق تدريس اللغة العربية،** مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، 1988.

6 ـ غنيم سيد، اللغة والفكر عند الطفل، **مجلة عالم الفكر،** الكويت، المجلد الثاني، العدد الأول، أبريل مايو يونيو 1971.

7 ـ المعتوق أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، **سلسلة عالم المعرفة،** الكويت، العدد 212, أغسطس آب 1996.

8 ـ اليافي عبد الكريم، **دراسات فنية في الأدب العربي،** دمشق، 1972.